أخا البيانْ(*)

أشـــعِلْ بيـــانَك واســـتنهضْ بـــه الهممـــا
قـــد آنَ ألاّ نـــرى شِـــرْكاً ولا صنمـــا
كفـــاكَ هَدهَـــدَةً فـــالجرحُ مُســـتعرٌ
واهـــاً لجـــرْحٍ علـــى ذُلٍّ إذا التأمـــا!
صُـــبَّ اللّهيـــبَ بجـــرحٍ لا شـــفاءَ لـــه
هيهـــاتَ تلقـــى ذليـــلاً يشـــتكي الألَمـــا
آمنـــتُ بـــالألم العمـــلاقِ يُبدعنـــا
وأبعـــدَ الله مـــن أبـــدى لـــه سَـــأما
أخـــا البيـــانِ ومـــا أحـــراكَ مـــن رَجُـــلٍ
يـــروي علـــى ظمـــإٍ مـــن يشـــتكون ظَمـــا!
وهـــل كـــآلامِ مـــن قـــد أبدعـــوا ألـــمٌ
ماكـــان أقســـاه لـــوْ لَـــمْ يملكـــوا القلمـــا!!
وغربـــةُ الشـــاعرِ الإنســـانِ مُوجِعـــةٌ
فـــاقت بمـــا أورثَتْـــهُ الفقـــرَ والصَّمَمَـــا

(*) ألقيت هذه القصيدة في المجمع الثقافي في مدينة أبو ظبي في ١٩٩٦/١٠/٣٠ بمناسبة توزيع جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، دورة أحمد مشاري العدواني وقد نقلتها عدة محطات فضائية وتناقلتها صحف عديدة.

كـم عـاش أهـلُ الغنـى دُنيـاهمو قلقـاً

وعاشـها مُطمئِـنَّ النفـسِ، مُبتسِـما!!

والجهـلُ أوجـعُ مـا عانـاه مـن وجـعِ

وأوجـعُ الجهـلِ أن يـأتي مـن العُلَمـا

❖❖❖

أخـا البيـانِ المُصفـى والبيـان هُـدىً

مـن ضـلَّ عنـه فهـلْ إلاّهُ أهـلُ عَمَـى!!

دهـرٌ رمانـا فـأردى كـلَّ جارحـةٍ

إلاّ الإبـاءُ تـأبّى عنـهُ حـين رَمَـى !!

تجمَّـعَ الحقـدُ مُرخـاةً أعِنَّتُـهُ

وضـجَّ بالبـابِ محمومـاً، ومُحتدِمـا

عِشْـنا لجولاتِـهِ رُصّادَهـا أبَـداً

ولَـمْ يَجِـدْ بيننـا مـنْ مَـلَّ، أو نَدِمـا

مِـنْ عَهْـدِ آدَمَ نحـنُ الصَّـامدونَ لـه

بمثـلِ إيماننـا بـالحقِّ مـا صُدِمـا

يختـارُ ربُّـكَ للأجيـالِ قادتَهـا

وخصَّنـا مـن لَدُنْـهُ اللهُ وَحْـيَ سَـما

لنـــا تعـــاليمُ كـــلِّ الأنبيـــاء ... لنـــا

وعْـــدُ الإلـــهِ ..لنـــا أن نُنْقِـــذَ الأُمَمـــا

إن كـــان أعطـــى سِـــوانا فَضْـــلَ صَنْعَتِـــهِ

فنَحْـــنُ مَـــنْ علَّـــمَ التشـــريعَ، والنُّظُمـــا

عِشْـــنا لآلامِ أهْـــلِ الأرضِ نُبْرِئُهـــا

فنحـــنُ مَـــنْ أمرُنـــا في بُرئِهـــا عَظُمَـــا

آمنـــتُ بـــالحقِّ يُحيـــي الأرضَ قائِمُـــهُ

وكـــم يفـــوقُ بمـــا يُحيـــي بهـــا الدِّيَمَـــا!!

لـــنْ يُصْلِـــحَ الكَـــونَ صـــاروخٌ ومِطرقـــةٌ

لـــو دام أمرُهمـــا في ســـاعةٍ هُدِمـــا

❖❖❖

أخـــا البيـــانِ عجيـــبٌ أمْـــرُ عالَمِنـــا

عـــادى هُـــداهُ جِهـــاراً، وازدرى القِيمـــا

لـــم يبـــقَ للحـــقِّ مـــن كـــفٍّ تُســـانِدُهُ

هَـــمُّ القـــويِّ غـــدا أن يُكـــثرَ الغَنَمـــا

تفنـــى شـــعوبٌ، ولا تهـــتزُّ إصبعُـــه

وكـــان أنقذهـــا لـــو حـــرّكَ القَلَمـــا

أيــنَ الحقــوقُ التــي نــادى بحُرمتهــا

فمــا نراهــا تعَــدَّت قــولَ: لا جرَمــا ؟!

أحــلاف شــرٍّ علــى الطــاغوتِ قائِمــةٌ

مــا ســاءَها لــو غرقنــا في بُحــورِ دِمــا

لــو أنصفــت ســاعةً لارتــاح عالمَنُــا

ومــا رأيــتَ بــه مــن يشــتكي العَدَمــا

أليــسَ في القُــدسِ أطفــالٌ تُبــاد ضُحــىً

ولا يُــلامُ الــذي يَصليهُمُــو حُمَمَــا!!

أدنــى الحقــوقِ بــأدنى العيــشِ قــد حُرمــوا

وقــاتِلُ الحــقِّ يلقــى فــوقَ مــا حَلُمَــا

أليــسَ يقضــي بنــو الصومــالِ مــن سغَبٍ

وإن يُغــاثوا رأينــا غوثَهــم نِقمــا!!

أليــسَ في الهرسِــكَ الإفنــاءُ مســتعِراً

ومجلــسُ الأمــنِ فيــهِ بعــدُ مــا عَلِمــا !!

أليــسَ في كــلِّ أرضٍ ألــفُ مَظلَمــةٍ

وليــسَ إلاّ أخــو الإيمــان مــن ظُلِمــا!!

مُســـاعَدَاتٌ علـــى التقتيـــلِ وافـــرةٌ

لِمَـــنْ يشـــاءُ... وإلاّهـــا فقـــد لُجِمـــا

في كـــلِّ يـــومٍ ألـــوفُ الصارخـــاتِ سُـــدىً

ألَـــمْ يَحِـــنْ أن نـــرى في الكـــونِ معتصمـــا؟

أيـــنَ العدالـــةُ يقضـــي عـــالَمٌ سَـــغباً

ومدَّعوهـــا غـــدواْ مـــن سَـــلبِهِ تُخمـــا !!

أيـــنَ التُّقـــاةُ، وأيـــن الأهـــلُ، أيـــنَ أخـــو

ديـــنٍ ومـــالٍ يُرينـــا دينَـــه كَرَمـــا؟!

إلـــى متـــى يـــا بنـــي قومـــي تفرُّقُنـــا

أمَـــا شَـــبِعنا مـــن الإذلالِ، ألـــفُ أمَـــا؟!

ألَـــم نَكُـــن خـــيرَ مـــن عـــزّوا، ومـــن نصـــروا

ومـــن رعـــواْ للأعـــادي الحـــقَّ والذِّمَمـــا!!

عِشْـــنا وعـــاشَ بَنُـــو الدُّنيـــا سَواســـيَةً

بِنهجِنـــا الحـــقُّ قـــد صـــاروا لنـــا رَحِمـــا

لـــو نحـــنُ عُدنـــا لَمَـــا شـــاهدتَ مَظلَمـــةً

ولا رأيـــتَ سِـــوى مـــن فـــاز، أو غَنِمـــا

غـــداً نعـــودُ ... ومـــا أشـــقاهُ عَالَمُنـــا

إن لـــم نَعُـــدْ ونُزيـــلُ الظُّلـــمَ والوَخَمـــا!!

فـــالدينُ في النَّـــاسِ إيثـــارٌ ومرحمـــةٌ
مـــا كـــانَ في النَّـــاسِ إلاّ أهلُـــه رُحَمـــا

دِيـــنُ الإلـــهِ بـــراءٌ مـــن تســـلُّطِنا
والخلـــفُ فيـــه ببيـــداءِ الضَّـــلالِ نمـــا

ومَـــارِقٌ مـــن أحـــالَ الدِّيـــنَ مصلحَـــةً
وأكفـــرُ النـــاسِ مـــن قـــد حرَّفـــوا الكَلِمـــا

أيُّ الدّيانـــاتِ جـــاءَتْ للدمـــارِ ؟ وَمـــنْ
يَرضـــى بـــربٍ وديـــنٍ جـــاءَ مُنتقِمـــا ؟!

قُـــمْ ســـاعةً وتـــأمَّلْ.. هـــل تـــرى أمَـــلاً
إلاّ بنـــورِ الهُـــدى أن نكشِـــفَ الظُّلُمـــا !!

طـــالَ الشَّـــقاءُ بهـــذا الكـــونِ خالِقَـــهُ
وضـــجَّ لمـــا غـــدا أحـــرارُهُ خَدَمـــا

والنّـــاسُ ســـاهون أعمتهـــم لذائذهُـــمْ
وشـــرُّ مـــا حصـــدَ الإنســـانُ مـــا وصَمَـــا

ومـــن تربَّـــى وذُلُّ الحِقْـــدِ في دَمِـــهِ
هيهـــاتَ يُكـــبِرُ فينـــا الكِـــبْرَ والكَرَمـــا

❖❖❖

أخـا البيـانِ المصفـى دعـكَ مـن جـدلٍ

ودَعْـكَ ممَّـن غـدوْا للتُّرهَـاتِ حِمـى

أمـا جعلنـا جحيـمَ الحـبِّ جَنَّتنـا

ليقطِـفَ النّـاسُ مـن أفنانِنـا النِّعمـا ؟

لـم تُـوهِ عزمتنـا آلامُ أمّتِنـا

أكـرِمْ بآلامِهـا كـم فجّـرت هِممـا

نبقـى الهُـداةَ ..ونبقـى الأوفيـاءَ لهـا

وخـابَ فـدمٌ رأى تاريخَنـا خُتِمَـا

إنّـا علـى عهدِنـا نَحيـا رِسـالتنا

لا بـارك الله مـن قـد ضـلَّ ...لا سَـلِما

محبـةُ اللهِ نـورٌ في جوانِحِنـا

وليـتَ ليـتَ عليهـا شـملَنا التَأمـا

وطاعـةُ الرُّسـلِ تبقـى زادَ رِحلتنـا

عِيسـى، وأحمـدُ ... هـل زادٌ كحبهمـا ؟

عِيسـى هُـوَ الحـبُّ تجلُـو النَّفسَ سِيرتُه

وأحمـدٌ لـم يَـدَعْ شِـرْكاً ولا صَنَمـا

مـــا أَهنـــأ القلـــبَ مَشـــغولاً بِحبِّهمـــا

وأسْـــعَدَ الكـــونَ مَهدِيـــاً بهديهمـــا ؟

إن عَـــزَّ للنَّـــاسِ مَنجـــاةٌ ومُعتصِـــمٌ

أكـــرمْ بِمـــا علَّمـــا مَنجـــىً ومُعتَصَمـــا

❖❖❖

أخـــا البيـــانِ وعفـــوَ البـــوحِ عـــن زُمـــرِ

خـــانُوا الأصيـــلَ، وكـــانوا للهجِـــينِ فَمَـــا

صِنفـــانِ مـــن جحـــدُوا الفصحـــى وروعتهـــا

لا بـــاركَ الله مـــن يرضـــوْن غيَّهُمـــا

صِنـــفٌ أضَـــلَّ، وصِنْـــفٌ ضَـــلَّ مُنبهـــراً

وأعجـــبُ الأمـــرِ مِمَّـــنْ رَوَّجـــوا لَهُمـــا

الجـــاحدانِ بِمـــا للشـــعرِ مـــن قِيـــمِ

همـــا الشـــقيَّان في عـــرس الإبـــاء همـــا

والمنكـــرون علينـــا مـــا نـــرى قيمـــاً

مـــا ضَـــرَّ قيمتهـــا مـــن أنكـــر القِيمـــا!

مـــن لـــم يكـــن مُخلِصـــاً للهِ غايَتَـــهُ

فمـــا ابتغـــى بعـــدَه إلاّ ابتغـــى صَنَمـــا

❖❖❖

أخـــا البيـــان المصفـــى والبيـــانُ لظـــىً

إذا غَضِبنـــا تشـــظّى وارتمـــى حُمَمَـــا

لا نســـتكينُ لطـــاغٍ، لا نُقيـــمُ لَـــهُ

وزنـــاً، ونجعـــلُ مَهْـــرَ الأُمنيـــاتِ دَمَـــا

أمـــا كَتَبنـــا ؟! أمـــا ســـالتْ حناجِرُنـــا

شـــعراً يعيـــدُ أخـــا الإذلالِ مُقتَحِمَـــا!

أمـــا نهضنـــا بمـــا أملـــتْ رِســـالَتُنا

وتشـــهدُ الـــدَّربُ كـــم أدمـــتْ لنـــا قَدمـــا

أمـــا خَلُصنـــا لآمـــالٍ لنـــا عَظُمـــتْ

متـــى تناســـى همُـــومَ الأمُـــةِ العُظَمَـــا!

❖❖❖

أخـــا البيـــانِ ومـــا في الصَّمـــتِ مَنْفَعـــةٌ

وخـــابَ مـــن ظـــنَّ قـــد أخفـــى بـــهِ حِكَمـــا

أشـــعِلْ بيـــانَكَ بئـــسَ الصَّمـــتُ مُلْتَجَـــأً

وبِئْـــسَ قـــولُ يزيـــدُ الحـــالمين عمـــى

فَـــرُبَّ جـــذوةِ نـــارٍ أشـــعلت ســـقراً

ورُبَّ قولـــةِ حـــقٍّ حـــرَّرتْ أُممـــا

أخـا البيـان وكـم في العُـودِ مـن نغـمِ
إنْ لـم تُحرِّكْـهُ لـن تلقـى بـهِ نَغَمَـا

لا يُرهـبُ الظّـالمَ الطّـاغي كرؤيتـهِ
ثغـرَ الضّحيـةِ رغـمَ الظُّلـمِ مُبتسِـما

فبسـمةُ الحـقِّ فجـرٌ لا يُطـاقُ لَـهُ
ردٌّ... ولـو حشـدوا في وجهـهِ الظُّلَمـا

لا يفْرَحَـنْ مـن رأى شـعبي وفرقتَـه
فكـم تفـرَّقَ قبـلَ اليـومِ، وانقَسَـما!

وكـم تمسَّـكَ بـالوثقى فعـادَ بهـا
كأنـه مـا رأى ذُلا، ولا انفصمـا!

تُبلـى الشُّـعوبُ علـى مِقـدارِ قيمتهـا
يفنـى الخَليـطُ وتلقـى التُّـبرَ قـد سَـلِما

نحـنُ الأُلـى في عميـقِ الدَّهـرِ جذرهُمُـو
وكـم تَـرى الفـرعَ مـن عُمـقِ الجُـذورِ نَمَـا!

غـداً ستُشـرقُ شـمسٌ بعـدَ هَجْعَتِهـا
وأخسـرُ النّـاسِ عنـدَ اللهِ مـن ظَلَمـا

❖❖❖

أنـــا هنـــا في الإمـــاراتِ التـــي اتحـــدت

علـــى الإبـــاءِ وســـارتْ للعـــلا قُدُمـــا

حملـــتُ زهـــوَ شـــموخِ الشّـــامِ قافيـــة

علـــى فـــمِ الدَّهـــرِ يبقـــى وقعهـــا نغمـــا

لـــم يَنْـــبُ في الشّـــامِ ســـيفٌ لا ولا تعبـــتْ

فيهـــا الخيـــول التـــي لـــم تعـــرف اللُّجُمـــا

للضـــادِ ..للحـــقِّ .. للإســـلامِ وقفتهـــا

الله للشـــام كـــم صـــانت لنـــا الشّـــمَمَا!

طريـــفُ أمجادهـــا الزّاهـــي بتـــالِدِهِ

سِـلْماً وحرْبـاً كمـا شـاءَ العُـلا انسـجما

قـد أقسـمَتْ ـ وحِفـاظُ العهـد قسـمتها ـ

وأيـن كالشـامِ مـن صـانت لنـا الذّممـا!

لا، لـــن تقـــوم لســـلمِ الـــذّلِ قائمـــةٌ

ولـــن يكـــون عـــدوُّ الأمـــةِ الحكَمَـــا